

روايات مصر بدمية
رجل المستحيل

ذئب الأحرار



● رجل المستحيل ● ذئب الأحرار ● (٣٣) ● المصطفى مصطفى السيد بدمية بدمية بدمية بدمية بدمية



رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للجناب
زاهرة
بالأحداث
المثيرة



REEM1.COM

ذئب الأحرار

● ما سر تلك القوامة الحية، لزوع الخفاف بين
(مصر) و (إيطاليا) (حوب إفريقيا) ؟
● ماذا يجرب (آدم صوى) و زوجته رجل
(الموداد) في قلب إفريقيا ؟
● أينما (آدم صوى) (آدم عظيمة) الذئب
يقتل ، لم يثبت أنه وحده ذئب الأحرار ؟
● قرا التفاصيل المثيرة التي كيف يعمل (رجل
المستحيل) .



العدد القادم: محلب الشيطان



المصدر
لجنة لوجبة لعمامة
مصر والشرق
والجنوب والشرق

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة الخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - نداء من كيب تاون ..

انطلقت رصاصة قاتلة من فوهة مسدس من نوع ال (سميت) ، تشق الهواء نحو رجل يعدو داخل ممر طويل ، وانحرف الرجل في نفس اللحظة التى حطمت فيها الرصاصة حاجز نافذة ، تجدد عنه بضعة سنتيمترات في نهاية الممر ، وارتفع صوت أقدام ثلاثة رجال يطاردون الرجل الأثقل في إصرار ووحشية ، وقفز الرجل داخل حجرة صغيرة ، وأغلق الباب خلفه في إحكام ، ثم دار بعينه في أرجاء المكان في لهفة ، حتى استقرت فوق جهاز لاسلكى صغير ، يقبع ساكنا في ركن الحجرة ، فأسرع نحوه ، وأخذ يدير مؤشراتهِ في توترٍ محاولاً التوصل إلى موجة إرسال خاصة ، وازداد توتره حينما بدأ الرجال الثلاثة يدقون باب الغرفة في شراسة وقوة ، ومضى الوقت ببطيئاً ، حتى تحلّل للرجل أنه قد استغرق دهرًا كاملاً ،

خطورة موقفه أن يدير مؤشر جهاز الالاسلكى ، كيلا يتعرّف الرجال الثلاثة الموجة الخاصّة برناسته ، وظل ساكنا يحدّق في فوّهات المسدسات الثلاثة المصوّبة نحوه ، حتى سمع صوت أحد الرجال يقول :
— لا فائدة من المقاومة يا رجل الخابرات المصرية ، لقد انتهى كل شيء .

قال (س ٦٠٠) في استمزاز :

— يا لك من خائن قدر !!

ارتسمت ابتسامة على شفهي الرجل الغليظين ، وهو يقول :

— حسناً أيها الرجل ... إنها كلماتك الأخيرة .

وفجأة .. تحرك (س ٦٠٠) ، وركل مسدس الرجل ذى الشفتين الغليظين ، ثم عاجله بلكمة قوية في صدره ، واستدار يواجه الرجلين الآخرين ، ولكن أحدهما أطلق عليه رصاصة اخترقت ذراعه ، وحطمت عظامه ، وبرغم آلمه المبرّحة ، لكم (س ٦٠٠)

قبل أن يوصل إلى الموجة المنشودة ، فثبت جهاز الاستماع والاتصال فوق أذنيه ، وهتف في توترٍ ز
— هنا (س ٦٠٠) يتحدّث إلى (وكر التعالب) ، لقد فشلت عملية (الذئب الأرقط) .. أنا محاصر هنا .. لا أمل في الحياة .

ساد الصمت لحظة موت كالدهر ، قبل أن ينبعث من الجهاز صوتٌ يقول :

— هنا (وكر التعالب) .. كيف فشلت المهمة يا (س ٦٠٠) ؟

أجاب وهو يختلس النظر إلى باب الحجرة ، الذى بدأ الرجال الثلاثة يطلقون رصاصاتهم عليه :

— بسبب الخيانة ، لقد خاننا أحد أفراد (الأسود الشود) ، لقد

وقبل أن يتمّ عبارته تحطّم مزلاج الباب ، واندفع الرجال الثلاثة إلى الحجرة الصغيرة ، واحسبت الكلمات في حلق (س ٦٠٠) ، ولكنه لم ينس برغم

الرجل بأقصى ما يملك من قوة ، وركل الثاني في وجهه قبل أن يطلق رصاصات مسدسه ، وفجأة أيضاً وجد (س ٦٠٠) الطريق أمامه خالية ، فاندفع محاولاً مغادرة الحجرة .. ولكن الرجل ذا الشفتين الغليظتين ، أطلق رصاصته التي استقرت في عنق (س ٦٠٠) .

ترنح ضابط المخابرات المصري ، واندفعت دماء الحياة من عنقه ، وحاول أن يتشبث بالباب ، ولكنه سقط أرضاً جثة هامدة .

ازدرد الرجل لعابه ، وقال للآخرين :
— ما قد تخلصنا منه ، ولا ريب أن المصريين سيرسلون رجلاً آخر .

سأله أحد الرجال وهو ينهض :

— هل تظن ذلك حقاً ؟

أجابوه وهو يشعل سيجارته :

— إنهم لا يستلمون بسهولة ، وما داموا قد

٨

وصلوا إلينا في (كيب تاون) ، فهم لن ينسحبوا قبل أن يعضوا نهاية حاسمة للأمر .

سأله الرجل الآخر :

— هل نلغى العملية إذن ؟

هز غليظ الشفتين رأسه نفيًا ، وقال وهو ينفث دخان سيجارته :

— هذا مستحيل أيها الفبي .. سنتظر رجلهم القادم و

وابتسم في شراسة ، وهو يردف في بطة وهدوء :
— ونقطه .



٩

٢ — إلى الجنوب ..

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يصغي في انتباه إلى تسجيل رسالة (س ٦٠٠) الأخيرة ، وانتظر حتى انتهت ، ثم قال :

— أظنني أحتاج إلى بعض التفاصيل يا سيدي ، فأنا أعلم أن (س ٦٠٠) هو زميلنا (عبد الفتاح) (رحمه الله) ، وأن (وكسر التعالب) هو مقر (المخابرات المصرية) .. ولكن ما عملية (الذئب الأرقط) ؟ ولماذا تتسم في (كيب تاون) عاصمة (جنوب أفريقيا) ؟

تهد مدير المخابرات ، وقال :

— سأخبرك بالأمر منذ البداية يا (ن - ٩) .
وصمت لحظة وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم قال :
— أنت تعلم أن (جنوب إفريقيا) من المناطق التي

١٠

ما زالت تخضع للاحتلال البريطاني حتى الآن ، وأن المشكلة الرئيسية فيها هي تلك التفرقة العنصرية بين البيض والزوج ، الذين هم أهل البلاد الأصليين .

سأله (أدهم) :

— وما علاقة هذا بالمخابرات المصرية يا سيدي ؟

أجاب مدير المخابرات :

— في الدول العنصرية عادة ، ينشأ فريق يحاول الإفادة من الموقف ، وفي هذه المرة أراد ذلك الفريق توريث السفارة المصرية هناك ، في عمل يجلب إليها سخط المواطنين الزوج ، ويقود تلك العملية واحد من أبرع رجال (الموساد) ، يحاول أن ينسب مقتل بعض المواطنين إلى السفارة المصرية ، وبذا يضرب عصفورين بحجر واحد ، فيحطم العلاقة بين (مصر) و (جنوب إفريقيا) ، وينفي التهمة عن منظمة البيض الإجرامية المستولة عن حوادث القتل ، والتي تعاون (الموساد) في كثير من عملياته ، وتطلق على نفسها اسم (الذئب

١١

الأبيض) ؛ لهذا السبب أرسلنا (س ٦٠٠) في محاولة لإحباط ذلك الخطط ، ولكنه لقي مصرعه كما علمت .

سأل (أدهم) في اهتمام :

— وما هي منظمة (الأسود السود) التي خاننا أحد رجالها هذه ؟

أجابته مدير المخابرات :

— إنها منظمة من الزوج مناهضة لمبدأ التفرقة العنصرية ، وتؤمن ببراءة (مصر) من حادث مقتل المواطنين السود ، وكان من المفروض أن تعاوننا في كشف الأمر ، ولكن أحد زعمائها خائن ، يعمل لحساب (الموساد) .

نهض (أدهم) من مقعده ، وهو يقول :

— متى أسافر إلى (كيب تاون) يا سيدي ؟

ابتسم مدير المخابرات خماسية (أدهم) ، وقال في هدوء وهو يناوله ملفاً صغيراً :

١٢

— بعد ساعتين فقط يا (ن — ١) ، بعد أن تحفظ كل كلمة يتضمنها هذا الملف .

لم يستطع (أدهم) كتمان ضحكته ، حينما وقع بصره على (منى توفيق) في مطار القاهرة ، كانت قد تحولت بفعل التكر إلى زنجية أنيقة ، لها بشرة في لون الشيكولاتة ، وشعر مجعد كثيف تكوّن فوق رأسها وشفتان غليظتان مثلثتان ، وفي كل من أذنيها تدلى قرط ضخم أصفر اللون ، وعقدت هي حاجبها في غضب ، حينما بدأ يتأملها ضاحكاً ، وهمست في أذنه ساخطة :

— أنت أيضاً تبدو عجيباً ، وأنت متكرر في هيئة الزوج .

استمر (أدهم) يضحك في مرح لم يلبث أن انتقل إليها ، ففلاش غضبها ، وضحكت وهي تقول :

— ليك رأيت (قدري) وهو يلتقط صورتي بهذا التكر ، من أجل جواز السفر .. لقد ارتج جسده

١٣

البدن وهو يقهقه ضاحكاً ، وعمك كرشه الضخمة ، محاولاً منهما من الإنجذاب .. لقد استغرق نصف ساعة كاملة ليلقط صورتي .

قال (أدهم) وهو يقودها إلى حيث ينهي كل منهما إجراءات سفره :

— حسناً يا عزيزتي (كوبولا) كما هو مدون بجواز سفرك .. سنزجل هذا الحديث لما بعد .

ضحكت وهي تقول :

— لا بأس يا عزيزي (أندريه صاصو) .. كما هو مدون بجواز سفرك أيضاً .

ارتفع صوت مضيئة الطائرة تدعو المسافرين إلى ربط الأحزمة ، والامتناع عن التدخين ، استعداداً للهبوط في مطار (كيب تاون) ، فالتفتت (منى) إلى (أدهم) ، وسألته بالفرنسية :

— هل نذهب إلى السفارة المصرية مباشرة ؟

١٤

أجابها (أدهم) في هدوء ، وهو يربط حزام مقعده :

— لن نذهب إليها مطلقاً يا عزيزتي ، فنحن فرنسيان كما يقول جواز سفرنا .. ونحن هنا في (جنوب إفريقيا) للتزّه والسياحة فقط ، ولست لنا أية مطالب أو علاقات بالسفارة المصرية .

سألته :

— من أين نبدأ مهمتنا إذن ؟

هزّ كفيه وهو يجيبها قائلاً :

— من مقر (الأسود السود) بالطبع يا عزيزتي .

عقدت حاجبها في مزيج من الدهشة والقلق والتساؤل ، وهي تقول :

— ألا يتطوى هذا على خطر بالغ ؟ .. أعنى مادام هناك خائن مجهول الهوية وسط رجال (الأسود

السود) ، فكيف تكشف لهم أوراقتنا ؟

أجابها وهو يتسم ابتسامة ماكرة غامضة :

١٥

— لا بد أن ندفعهم للحركة ، حتى ينتهى الأمر
بسرعة يا عزيزي .
قالت فى غضب :

— هل سعود لممارسة حُطَّتكَ الخاصة ، بالقاء
أنفسنا بين أنياب الأسود ؟
عاد يمزّ كفيه ، قائلاً فى استهتار :
— ولم لا ؟ .. إنها أفضل الطرق فى رأى يا عزيزي .
وقبل أن تفتح فمها للاعتراض ، أسرع يادها
قائلاً :

— ها قد هبطنا يا عزيزي ، وأرجو ألا تكونى قد
نسيت معجون الأسنان الخاص بتطهير أنياب الأسود
الخانئ وسط (الأسود السُود) .



٣ — الأسود والأبيض ..

توقَّفت سيارة قديمة — من طراز يعود إلى عشر
سنوات مضت ، أمام منزل صغير ، فى أحد أحياء
(كيب تاون) الفقيرة ، وترجل منها (أدهم صبرى)
وزميلته (منى) ، فى زئهما الذى يجعلهما يشبان
المواطنين تمامًا ، وقبل أن يدقّ (أدهم) باب المنزل
الصغير ، اقترب منه شرطى أبيض البشرة ، وسأله
بالإنجليزية فى خشونة :
— مهلاً أيها الأسود .. هل لديك رخصة لقيادة
السيارات ؟

أجابهُ (أدهم) بالإنجليزية تحمل اللكنة الفرنسية ،
وبصوت يحمل رئةً السخرية :
— بالطبع أيها الشرطى الأبيض المهام .. لقد
استخرجت رخصة دولية من دولتى (فرنسا) .

لوفى الأسود بالطبع ، ولو أنك حاولت إهانتى بحرف
واحد ، أؤكد لك أنى سأعمل على نقلك إلى نقطة
مرور (سيبيريا) .
تعلقت عينا الشرطى بعينى (أدهم) لحظات ، ثم
غمغم فى سخط :
— حسنًا أيها الفرنسى .. سنقابل مرة أخرى .
ثم جذب معصمه من قبضة (أدهم) ، وتحرك
مبعداً ، متحاشياً نظرات الشماتة فى عيون الوطنيين
الزئوج ، والذين انفتحو بتطلعون إلى (أدهم) فى سعادة
وإعجاب ، على حين دقّ هو باب المنزل الصغير فى
هدوء ، وهو يقول لـ (منى) :
— لقد ازدادت إصرارًا على معارضة (الأسود
السُود) يا عزيزي .

فتح الباب زئجى أشيب الشعر ، تأمل وجه (أدهم)
بنظرات متشككة ، قبل أن يسأله فى صوت قوى
لا يتاسب وجسده الهزيل :

تطلّع إليه الشرطى فى شكّ ، وقال :
— هل أنت فرنسى ؟ .. أوجد زئوج فى (فرنسا) ؟
أجابهُ (أدهم) بلهجة الساخرة :
— نعم أيها الشرطى .. تمامًا كما يوجد بيض فى
(جنوب إفريقيا) .

ظهر الغضب على وجه الشرطى ، وصاح وهو يهوى
بعصاه الغليظة القصيرة على رأس (أدهم) :
— أغلق شفئك على أسنانك أيها الزئجى القلبر .
توقَّفت يد الشرطى فى الهواء ، واتسعت عيناه ذُعْرًا
وذهوًلاً ، حيناً تحركت قبضة (أدهم) كالصاروخ ،
وقبضت على معصمه فى قوة .. وضمر الشرطى بالألم
حيناً انفرزت الأصابع الفولاذية فى رصفه ، وحَدَّق
مدهوشًا فى عينى (أدهم) البارزتين الساخرتين ، وسمعه
يقول فى صرامة :

— كلاً أيها الشرطى الأبيض ، إننى زائر فى هذا
البلد ، ولم أرتكب ذنبًا يمكنك مؤاخذتى عليه ، باستثناء

— ماذا تريد يا أخى ؟

أجاب (أدهم) فى هجة آمرة :

— أريد مقابلة (مونا) .

تظاهر الرجل بالفكير ، وهو يقول :

— (مونا) ؟!.. لست أذكر هذا الاسم .

مال (أدهم) نحوه ، وقال فى صوت خفيض :

— لعلك تتذكره لو أخبرتك أنه زعيم (الأسود

السود) .

استعت عينا المعجوز دهشة ، وقال وهو يسارع

بإغلاق الباب :

— لست أعرف من يدعى (مونا) يا أخى .

وضع (أدهم) قدمه بين مصراعى الباب لمنع

إغلاقه ، وقال فى هدوء :

— زئير الأسود يرح الأذغال يا صديقى .

حدق الرجل فى وجهه بعض الوقت ، ثم غمغم :

— بعض الأسود لا تترأز .

٢٠

ابنسم (أدهم) وهو يكمل العبارة السرية المنطق
عليها ، قائلاً :

— ولكنها تنتصر فى صمت يا صديقى .

فتح المعجوز الباب على مصراعيه ، وأشار لـ (أدهم)

و (منى) بالدخول ، ثم عاد يفلق الباب خلفهما فى

إحكام ، وتقدمهما إلى ما يبدو كحائط مُصمت ، وأزاح

جانبا من ستارة سوداء تسدل فوقه ، فظهر باب آخر ،

أسرع يفتحه ويشير إليهما بالدخول ..

كانت الإضاءة خافتة داخل الحجرة الجديدة ، ولم

تكذ عينا (أدهم) و (منى) تتداندان الرؤية فى تلك

الإضاءة الخافتة ، حتى تبين لهما ثلاثة زنوج ، يجلسون

حول مائدة مستديرة ، ويحدقون فيهما فى اهتمام

وتساؤل ، وتقدم (أدهم) نحو أحدهما ، ومدّ يده

يصفحه قائلاً :

— السيد (مونا) حسباً أعتقد ، أقدم لك

نفسى .. أنا المعيد (أدهم صبرى) من الخبرات المصرية .

٢١

لم يكذ (أدهم) بتى من ذكر اسمه ، حتى نددت

شهقة خافتة من أحد الرجلين اللذين يجاوران

(مونا) ، وعقد (أدهم) حاجبيه وهو يحاول تبين

أيهما مصدر الشهقة ، إلا أن (مونا) نهض

يصفحه ، قائلاً :

— مرحباً لمقدمك أيها المصرى ، تقبل أسفى لمصرع

زيملك السابق .

أجاب (أدهم) وهو يواصل تفرس ملامح الرجلين

الآخرين :

— لقد كان يؤدى واجبه يا سيد (مونا) .

تطلع (مونا) فى تساؤل إلى (منى) ، فقدمها

(أدهم) إليه قائلاً :

— زميتى النقيب (منى توفيق) ، من الخبرات

المصرية أيضاً .

صافحها (مونا) ، وهو يقول فى هجة مهذبة :

— مرحباً بك فى (كيب تاون) يا سيدنى .

٢٢

ثم أشار إلى زميليه ، قائلاً :

— هذان (كونا) و (بتسوى) ، زميلائى فى

مجلس قيادة (الأسود السود) .

تصافح الجميع ، ثم قال (أدهم) وهو يتخذ

مقعده إلى جوار (منى) حول المائدة المستديرة :

— ما معلوماتك عن حادث مصرع الوطنيين يا سيد

(مونا) ؟

صمت (مونا) قليلاً ، ثم قال :

— لاشئ تقريباً يا سيد (أدهم) ، لقد كانوا

أعضاء فى منظمتنا ، وتم العثور عليهم قتل إلى جوار

السفارة المصرية ، وأنا واثق أنها محاولة لزرع روح

الكراهية نحو (مصر) ، ولكننى واثق أنهم لقوا حتفهم

على يد منظمة (الذئب الأبيض) ، وأنت تعلم علاقة

زعيمها (أدولف جوين) بالـ (مونساد) .

سأله (أدهم) :

— أهذا رأى الوطنيين هنا ؟

٢٣

مطَّ (مونا سا) شففيه الغليظتين ، وهو يقول :
— إنهم متردِّدون ما بين اتهام (مصر) ، أو الشك
في ذلك يا سيِّد (أدهم) .. ولن يحسم هذا التردُّد
سوى كشف الأمر على نحو واضح .

غمغم (كوانا) في سخط :
— كيف تكشف أسرارنا أمام رجل أبيض ، مجرد أنه
متكرِّر في هيئة زنجي يا (مونا سا) .

تألقت عينا (أدهم) في الضوء الخافت ، وهو
يتأمل وجه (كوانا) ، على حين التفت إليه (مونا سا) .
قائلاً في غضب :

— كيف تحارب العنصرية وأنت تفكِّر بهذا
الأسلوب يا (كوانا) ؟ .. إن لون بشرة السيِّد
(أدهم) لا يعنينا كثيراً ، فحنا لا نحارب البيض مجرد
لون بشرتهم ، ولكننا نحارب في سبيل نيل حريتنا
ودولتنا ، والحارب من أجل الحق يصاب دائماً بعوى
الألوان يا (كوانا) ، ولكنه يمتلك حاسة قوية للتمييز
بين الخير والشر .

غمغم (كوانا) بعبارة ساخطة ، على حين انبرى
(بتسوى) قائلاً :

— أنت على حق يا (مونا سا) ، وأنا أتفق فيمن
تتق بهم .

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

— سأعاونكم في تدمير منظمة (الذئب الأبيض)
يا (مونا سا) ، وليس هذا من أجل لوتنا ، ولكن لأنني
أميل دائماً إلى معاداة كل من يحاول المساس بوطني
(مصر) .. سأحدِّث إليك أولاً حديثاً سرِّياً منفرداً ،
ثم أنصرف أنا وزميلتي لبدء الصراع .

تطلَّع إليه (مونا سا) في دهشة ، ثم غمغم في صوت
خافت :

— كما تشاء يا سيِّد (أدهم) .. كما تشاء .

ظلَّت (منى) صامتة ، و (أدهم) يقود سيارته إلى
قلب (كيب تاون) ، ثم اندفعت فجأة تسأله في فضول :

— بم همت إلى (مونا سا) قبل أن نصرف ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— طلبت منه أن يأخذ الحذر من (كوانا) يا عزيزتي .
سألته في دهشة :

— ولم (كوانا) بالذات ؟

أجابها في هدوء :

— لأنه الجاسوس الذي يعمل لحساب (الذئب
البيض) في منظمة (الأسود السُّود) .

استمت عيناها دهشة ، وهي تهف :

— كيف عرفت ؟ .. إن المقدم (عبد الفتاح)

(رحمه الله) ، لم يشر إلى شخصية الجاسوس بكلمة
واحدة و .. .

قاطعها (أدهم) وهو يتطلَّع إلى مرآة السيارة ،

قائلاً في صوت تلوح فيه نبرة السخرية :

— سأخبرك يا عزيزتي ، بعد أن أنتهي من هؤلاء

الأوغاد الذين يتبعوننا منذ عشر دقائق .

ألقت (منى) نظرة على مرآة السيارة ، وهفت :

— يا الهي !! كيف كشفوا أمرنا بهذه السرعة ؟

أجابها في هدوء :

— يبدو أن (كوانا) يقوم بعمله على أكمل وجه

يا عزيزتي .

ثم ضغط بقدمه دواسة سيارته في قوة ، وهو ينحرف

بها إلى جانب الطريق ، قائلاً في سخرية :

— إنني أعدُّ مفاجأة هؤلاء الذئاب البيض .



٤ - ذئب الذئاب ..

ضغط قائد سيارة الذئاب على دواسة سيرته في قوة ، وهو يسب ساخطا ، ثم هتف في غضب وحق :
- ماذا يفعل هذا الزئجي الغبي ؟
تطلع أحد زملائه الأربعة إلى (أدهم) وهو يفادير سيارته ، ويتجه نحوهم في هدوء وقال :
- لست أدري ماذا يريد بالضبط ، ولكن تذكر أن رجلنا قد حذرنا منه مشددا .
قال رجل آخر وهو يراقب (أدهم) ، الذي اقترب منهم في ملامحه الزئجية التكرية :
- ربما ينشد المساعدة ، فقد أوقف سيارته بشكل فجائي .
كان (أدهم) قد وصل إليهم في تلك اللحظة ، وانحنى يتطلع إليهم من نافذة السيارة في سخرية ، وقال :

٢٨

- أنتم خمسة رجال فقط ؟

سأله قائد السيارة في خشونة :

- ماذا تريد أيها الزئجي ؟

أجاب (أدهم) في لهجة استفزازية ساخرة :

- لا عليك يا صديقي .. أردت فقط رئيسة عضلاتكم المنفوخة ، فقد تراهنت مع صديقتي أنني أستطيع تقربها بدبوس صغير .

ظهر غضب جنوني على وجوه الذئاب الخمسة ، وهم يندفعون خارج السيارة ، وامتدت أيديهم بصورة غريزية إلى مسدساتهم المدسوسة خلف مستراتهم ، وصرخ زعيمهم غاضبا :

- ستمد على كل حرف تفوهت به أيها الزئجي .

ليس هناك من شك في أن اللحظات التالية تحمل الكثير من الدم ، ولكنه لم يكن من نصيب (أدهم صبري) ، فلم يكذب زعيم الأوغاد الخمسة ينتهي من نطق

٢٩

كلماته الغاضبة ، حتى انفجر (أدهم) وسطهم كالإعصار ، واندفعت قبضته اليمنى تهشم فك أولهم ، واليسرى تحطم أنف الثاني ، وانطلقت قدمه اليسرى في الوقت نفسه تركز مسدس الثالث ، على حين دارت قدمه اليمنى في الهواء كالروحة ، وكسرت أنف الرجل نفسه .

تراجع الرجلان الباقيان في ذهول ، وتصلبت أيديهما فوق مقبض مسدسيهما ، وقبل أن يستردا إحساسهما بالموقف ، هزت قبضة (أدهم) على رقبة أحدهما ، على حين غاصت قدمه في معدة الثاني ، واندفعت قبضته اليسرى تهب القتال بكلمة ساحقة في فكه ...

تسمر المارة في ذهول ، وهم يتطلعون إلى ذلك القتال الشيطاني العجيب بين الذئاب الخمسة وملك الذئاب في العالم أجمع ، وانطلق أحد رجال الشرطة نحو المقاتلين في غضب ..

٣٠

لم يفرضه أن الرجال الخمسة كانوا يحملون مسدسات غير مرخصة ..

ولم يفرضه نشوب قتال عنيف وسط أحد شوارع (كيب تاون) الرئيسية ..

ولم يفرضه تجاهل المقاتلين وجوده ، وإهمالهم للزئج الرسمي الذي يرتديه ..

وإنما أغضبه أن يجرو زئجي على مقاتلة خمسة من البيض ، وأن تصل وقاحته إلى حد هزيمتهم ، وتحطيم أنوفهم أمام جمع من الزوج والبيض ، كان هذا في رأيه يمثل إهانة بالغة للجحس الأبيض ، ينبغى الرد عليها بتفكير الزئجي درسا قاسيا أمام الجميع ..

لم يكذب الشرطي يصل إلى ساحة القتال ، حتى كان القتال قد انتهى ، ولم يعد في الساحة سوى (أدهم) ينفذ عبارات وهما عن مترته البيضاء ، وصرخ الشرطي في وجهه غاضبا :

- كيف تجرؤ أيها الزئجي القذ ؟

٣١



فلم يكذب يرفع عصاه استعداداً لضرب (أدهم)
حتى حطم (أدهم) أسنانه بلكمة كالقنبلة ..

(٣٤ - رجل السجول - قلب الأحرار - ٣٦)

لم يجد الشرطي المسكين ما يكفي من الوقت لإتمام
عبارته ، فلم يكذب يرفع عصاه استعداداً لضرب
(أدهم) حتى حطم (أدهم) أسنانه بلكمة
كالقنبلة ..

ترشح الجندي وهو ينظر إلى (أدهم) في دهول ،
ولكن (أدهم) عاجله بلكمة أخرى هشمّت أنفه ،
وسقط الشرطي على الأرض ، بين قدمي (أدهم
صيري) ، الذي تحرك نحو سيارته ، ودلف إليها في
هدوء ، وأدار عرّكاتها ، فسألته (مني) في دهشة :

— لم ضربت الشرطي أيضاً ؟

أجابها في هدوء وهو ينطلق بالسيارة :

— لقد سئمت هذا الأسلوب العنصري السخيف ..

سألته في غضب :

— وماذا سنفعل الآن ؟ .. لقد فتحت جبهة قتال

جديدة جماداتك للشرطة .

ابتسم وهو يقول :

٣٢

— ألا تشعر أنك أكثر وسامة هكذا ؟
تطلع إليها صامتاً يضع لحظات ، ثم سأها في
هدوء :

— أتضيقين بالبشرة السوداء يا (مني) ؟

هزّت كفيها وهي تقول :

— مطلقاً ، ولكنني أضيق بتغيير ملامحي .. فلو
أننى ولدت زنجية لسئمت التطلع إلى وجهي إذا
ماتت كرت في هيئة امرأة بيضاء ، إنها مسألة ألفة ليس
إلّا .

ابتسم وهو يعقد رباط عنقه ، وتشاغلته هي
بالتطلع إلى المكان ، ثم قالت :

— من الطريف أن محارباتنا لا تسي أن تضع أكثر
من منزل آمن ، في كل مهمة نضطلع بها خارج
مصر (*)

(*) المنزل الآمن : هو مصطلح يستخدم في عالم الخابرات لتعريف مكان
بعيد عن المراقبة ، ومعدّ مسبقاً لإقامة رجل الخابرات في أثناء
مهامه الخارجية .

٣٥

— لن يحدث شيء يا عزيزتي .

صاحت في حنق :

— ماذا تعني بأنه لن يحدث شيء ، سيحصلون على

رقم السيارة ويبحثون عن

قاطعها (أدهم) ، وهو يقول في سخوية :

— عن اثنين من الزوج يا عزيزتي .

اتسعت عيناها دهشة وهي تفهم :

— هل تعني ؟ ..

أجابها في هدوء :

— نعم يا عزيزتي .. من الصعب منذ الآن بوجوه

مكشوفة .

أسدلت (مني) شعرها الأسود الناعم على
كفيها ، وهي تطلع في سعادة إلى بشرتها البيضاء
وحانت منها الضائقة إلى (أدهم) ، الذي انتهى من إزالة
تكتّره ، وسألته :

٣٤

أجابها في هدوء :

— هذه واحدة من القواعد الأساسية في عالم

الختبرات يا عزيزي .

تأملته لحظة وهو يرتدى سترته ، ثم سأله في

فضول :

— إنك لم تخبرني بعد عن كيفية توصلك إلى كون

(كوانا) هو الجاسوس المنشود .

ابتسم وهو يجيبها ، قائلاً :

— لا يرب أنك سمعت تلك الشهقة الخافتة التي

انطلقت من فم أحد الرجلين المصاحبين لـ (موناسا)

حينما ذكرت اسمي يا عزيزي .

أومأت برأسها إيجاباً ، فتابع قائلاً :

— لقد نبهني ذلك إلى أن أحد الرجلين يعرفني

جيداً ، ومن المستحيل أن يحدث هذا إلا إذا كان ينتمي

لختبراتها ، أو إلى (الموساد) .

٣٦

قالت (منى) ، وقد عقدت حاجبها في تفكير

عميق :

— لقد تبنت إلى ذلك أنا أيضاً ، ولكنني لم

أستطع — مع الإضاءة الخافتة — معرفة أيهما صاحب

الشهقة .

رفع (أدهم) سبابته أمام وجهه ، قائلاً :

— أنا أيضاً لم أستطع ذلك ، حتى قال (كوانا)

إنه يرفض التعامل مع رجل أبيض .. وهنا علمت أنه قد

كشف نفسه دون أن يدري ، فمهما بلغ سوء تنكُّرنا لم

يكن بإمكانه تبين ذلك في الضوء الخافت ، ولَمَّا كان

أحدهم لم يسبق له مقابلتنا بالفعل ، فلم يكن من

الطبيعي أن يعلم أننا لسنا زنجيين أصليين ، إذ أنه من

الجمائر أن ترسل التقارير المصرية زنجيين بالفعل ، لم يكن

بإمكانه معرفة ذلك إلا إذا كان يعرف أن (أدهم

صبري) — الذي يحفظ جميع عملاء (الموساد) أبيض

٣٧

٥ — لقاء الذئاب ..

نفت (أدولف حورين) دخان سيجاره القخم ،

وظهرت الشراة في عينيه وهو يتطلع إلى كمية اللحوم

الموضوعة أمامه ، ثم مَدَّ يده ينتزع قطعة من اللحم ،

ويلقى بها في فمه بشكل بدائي مقزز ، وأخذ يتابع برنامج

الملهي في تراخ ، وهو يطفئ حوله في ببطء شأن من اعتاد

الخطر والحذر ، وجلس إلى جواره معاونه الأول

(ساندر) يدخن سيجارته بدوره ، ويراقب زعيمه في

بلادة ..

وفجأة .. اتسعت عينا (أدولف) ، وظهر

الرُعب في ملامحه ، وهو يقبض على ذراع (ساندر) في

قوة ، وغص حلقه بقطعة اللحم الضخمة التي كان ييم

بابتلاعها ، فأخذ يسهل في قوة حتى ضربه (ساندر)

على ظهره بقبضته ، ثم ناوله كوباً من البيرة جرعه

٣٩

غمغمت (منى) :

— يا إلهي !! هذا صحيح .

ثم صاحت في حماسة :

— لا بد أن نكشف القناع عنه .

أجابها (أدهم) في هدوء :

— سنفعل يا عزيزي ، ولكن بعد أن نوقع

(الذئاب البيض) عن آخرهم .

سأله :

— وكيف يكون ذلك ؟

أجابها وهو يتسم في سخرية :

— كما أخبرتك من قبل يا عزيزي .. سنلعب بوجوه

مكشوفة ، وسنفضي شهرتنا الليلة في المهلي نفسه الذي

يبراه (أدولف حورين) ، وسندفعه هو إلى اللهات خلفنا .

غمغمت في قلق :

— تقصد أننا سنحوّل في المساء إلى طريدة تسعى

خلفها منظمة (الذئاب البيض) ؟

٣٨

(أدولف) دفعة واحدة ، واحتقن وجهه وهو يقول في صوت متحرج :

— يا لجرأة هذا الرجل .. إنه يتحدثنا علانية .

عقد (ساندر) حاجبيه وهو يسأله :

— أى رجل يا زعمى ؟

أشار (أدولف) إلى مدخل الملهى ، وهو يغمغم في هجة ساخطة :

— ذلك الذى يقف هناك مع تلك الحسنة .

نقل (ساندر) بصره إلى حيث أشار رئيسه ، ولم تلبث الدهشة أن ارتسمت على ملامحه بدوره ، حيناً رأى (أدهم صبرى) ، الذى بدا بالغ الوسامة فى حُلة السهرة السوداء ، وإلى جواره (منى) التى ترفل فى ثوب أبيض أنيق ، وغمغم (ساندر) فى دهشة :

— إنه ذلك الشيطان المصرى الذى

قاطعه (أدولف) ، قائلاً فى حنق :

— صنة أيا الفنى ، هل تريد إعلان ذلك للجميع ؟

٤٠

همس (ساندر) ، وهو يواصل التحديق فى وجه (أدهم) :

— لماذا جاء إلى هنا ؟

قال (أدولف) فى هجة ساخطة :

— من أجلنا ولا شك أيا الأحق .

غمغم (ساندر) فى هجة فزعة :

— إنه يتقدم نحونا .. هل أطلق عليه النار يا زعمى ؟

أجابته (أدولف) ، وهو يحاول ضبط أعصابه :

— ليس أمام الجميع أيا الفنى .

وبرغم إجابة (أدولف) ، إلا أن قبضة (ساندر)

توترت فوق مقبض مسدسه ، حيناً وقف (أدهم)

و (منى) أمام مائدة (أدولف) تماماً ، وقبل أن يفتح

هذا الأخير فمه ، بادره (أدهم) قائلاً فى سخرية :

— مرحباً يا زعيم الأوغاد البيض .

ظهر الغضب على وجه (أدولف) وهمّ بالتعقيب ،

لأن (أدهم) و (منى) اتخذوا مجلسيهما على نفس

٤١

المائدة ، وعلى نحو مباغت بينهما حول غضب (أدولف) إلى دهشة عارمة ، وهو يقول :

— إننى لم أدعكما !!

أجابته (منى) فى برود :

— لا عليك .. إننا لسنا فى حاجة لذلك .

ازدرد (أدولف) لعابه فى توتر ، وقال :

— ماذا تريد منى ياسيد (أدهم) .. أقصد أيا

السيد ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يجيبه قائلاً :

— ذغ محاوراتك لما بعد يا (أدولف حوزين) .

تظاهر (أدولف) بالخيرة ، وهو يقول :

— يبدو أنك أعطت ياسيدى ، فأنا لست

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

— قلت لك أن تضع أحمالك أيا الوغد ، فأنا أعلم

أنك ذلك الوغد من (الموساد) ، وأنت تعلم أنتى

(أدهم صبرى) من المخابرات المصرية .

٤٢

حدق (أدولف) فى وجه (أدهم) فى ذهول ، على حين تجاهل (ساندر) أوامر قائده عند هذا الحد من المصارحة ، ومدّ يده يحاول انتزاع مسدسه من جيب سرواله ، إلا أنه سمع صوت إبرة مسدس تسحب إلى الخلف استعداداً للإطلاق ، فشحب وجهه وهو يتطلع إلى يدي (أدهم) فوق المنضدة ، ولكنه سمع (منى) تقول :

— إنه أنا أيا الوغد ، وأسزق أحشاءك برصاصة مباشرة ، ما لم تدغنى أرى كفضيك فوق المائدة طوال الوقت .

رفع (ساندر) كفيه إلى مافوق المائدة فى جزع ، وتحيل يد (منى) التى تصوب إليه المسدس من تحت المائدة ، فلزم الصمت التام ، على حين قال (أدولف) لـ (أدهم) :

— حسناً يا مستر (أدهم) .. سنتحدث بمبنى

الوضوح ، مادمت ترغب فى ذلك .. ماذا تريد ؟

٤٣

— ولكنك تعلم أن ما تطلبه يعدّ مستحيلًا في مثل مهمتنا يا مستر (أدهم) .

هزّ (أدهم) كفيه في استهتار ، وقال :

— لن أفرض عليك وسيلة معينة يا مستر (أدولف) ، يمكنك أن تدعى المرض ، أو كبر السن ، أو حتى الإصابة بالواسير بسبب الجوّ الحارّ ، المهم أن تغادر هذا البلد قبل صباح الغد .

ثمّ انحنى (أدهم) في هدوء نحو (ساندر) ، ولم يلبث أن نهض وهو يدهس مسدس هذا الأخير في سترته ، ويقول :

— هل سمعتي يا مستر (أدولف) ؟ ... قبل صباح الغد .

ابتعد (أدهم) و (منى) في هدوء حتى غادرا الملهى ، وهنا صاح (أدولف) وهو يعض شفتيه غيظًا :

٤٥



أجابته (أدهم) في هدوء وهو يحدّثه بنظراته الساخرة :

— إنه ليس طلبًا أيها الوجد .. إنه أمر .. أريد منك أن توقف عملية (الذئب البيض) ، وتعود فورًا إلى موطنك ، وإلا سحقتك ومنظمتك كحشرات حقيرة . لو أن (أدولف حونين) سمع هذا القول من رجل آخر ، لأطلق النار عليه في غمرة الغضب ، ولكن لأنه يعلم جيّدًا طبيعة محدّته ، ومدى ما يتمتع به من قوة وجرأة ، فقد شحّب وجهه إلى ما يقرب من الموت ، وغنم في صوت شاحب :

٤٤

— سيكفون بتبعنا لمعرفة أين نقيم ، ثم يعد (حونين) خطّة مناسبة و ...

وقبل ان يتم عبارته ، اخترق رصاصة زجاج السيارة الخلفي ، ومرقت منه محطمة الزجاج الأمامي ، وفتحت (منى) فمها مشدوهة ، على حين ضاعف (أدهم) من سرعة سيارته بالضغط على دواسة الوقود ، قائلاً في سخرية :

— تعدّلت الخطّة يا عزيزي .. إنهم ينوون قتلنا مباشرة .



٤٧

— لن تفلت مني هذه المرة أيها الشيطان المصرى .. أنا الذى سأسحقك .

انطلق (أدهم) بسيارته صامتًا فترة طويلة ، ثم قال في هدوء :

— هل تريدان تفسيرًا لما فعلت يا عزيزي ؟

أجابته في هدوء مماثل :

— لا عليك .. لقد اعتدت ذلك ، حتى أننى لم

أترقّف عن مراقبة تلك السيارة السوداء التى تتبعنا منذ غادرتنا الملهى ..

ضحك (أدهم) وهو يقول :

— لقد تحوّلت إلى محترفة حقيقية يا عزيزي .

سألته دون أن تعلق على عبارته :

— ماذا تتوقّع أن يفعلوا ؟

أجابها في هدوء :

٤٦

٦ - مطاردة حتى الموت ..

انطلقت سيارة (أدهم) تشقُّ شوارع (كيب تاون) الخالية ، في الثانية بعد منتصف الليل ، وخلفها اندفعت سيارة سوداء ، تحمل ثلاثة من الرجال ضخام الجثة ، وفي يد كل منهم مسدس ضخيم ، يحاولون اللحاق بسيارة (أدهم) ، حتى تقع في مرمى نيرانهم ، ولكن (أدهم صبرى) لم يكن بالرجل الذى تسهل هزيمته ، وشاهدت شوارع (كيب تاون) أعظم اسعراض لمهارات القيادة ، وامتلات قلوب الذئاب البيض بالدهشة والحق ، وهم يحاولون تبُّع ذلك الشيطان ، الذى ظل يراوهم في مهارة مذهلة ، برغم أن سيارته أضعف كثيراً من سيارتهم ، وبرغم أن قائد سيارتهم بطل سباق سابق .. ولكن يبدو أنه حتى الحركات تختص للأقوياء ، فقد استجابت سيارة

٤٨

(أدهم) للسرعة الفائقة التى انطلق بها ، برغم أنها تتجاوز سرعتها وهى جديدة ، وخضعت عجلايتها للمناورات المعقدة التى يقوم بها قائدها ، واستسلمت عجلة القيادة لقبضتى (أدهم) في خنوع ، وطالت المطاردة ..

تسرَّب القلق إلى قلوب الذئاب الثلاثة ، فانطلقت رصاصاتهم عشوائياً من فوهات مسدساتهم الكاسية للصوت نحو سيارة (أدهم) ، وشعر (أدهم) و (منى) بالرصاصات تخرق حقيبتي السيارة من الخلف ، وانحرف (أدهم) بحركة حادَّة ، محاولاً تضليل المطاردين ، ولكنه فوجئ أمامه بعربة صغيرة تعترض نصف المنعطف الذى دار حوله في سرعة خرافية .. ضغط (أدهم) دواسة إيقاف السيارة ، وحاول أن ينحرف بها إلى اليسار ، ولكن عوامل شتى وقفت تعترض ذلك .. السرعة الفائقة ، والانحراف المفاجئ ، وضيق الطريق ، ولم يكن هناك بُدُّ من التصادم ..

٤٩

لو أن مخرجاً من مخرجى أفلام الحركة الأمريكية وقف يشاهد ماحدث ، لقفز صارخاً من شدة الانفعال ، ولبحث في جيوبه في حاسة عن عقد يرقِّعه مع (أدهم صبرى) ، ليقوم ببطولة أكثر أفلامه إثارة وقوَّة ، ولاتسعت ابتسامته وهو يربّت على العقد ، مطمئناً إلى أنه سيربح من مشاهدى الفيلم ما يكفل له العيش الرغد مدى الحياة ..

فقد ارتطمت سيارة (أدهم) بمقدمة السيارة الصغيرة ، وقفزت في الهواء ما يزيد على عشرة أمتار في إطار مدهل مخيف ، ثم هبطت كطائرة حربية صغيرة ، وارتطمت عجلايتها بالأرض ، ثم عادت تقفز ثلاثة أمتار أخرى ، وسقطت على عجلايتها كما لو كانت تحشى مخالفة رغبة قائدها ، ودارت حول نفسها ثلاث دورات كاملة ، قبل أن يصمت هدير محركها ، وتقع ساكنة ومقدمتها تواجه بداية الطريق ، في نفس اللحظة التى توقفت فيها السيارة الأخرى ، وقفز منها الذئاب الثلاثة ،

٥٠

ومسدساتهم مُشهرة ، مستعدة لقتل (أدهم صبرى) وزميلته .. وقبل أن يصل الذئاب الثلاثة إلى سيارة (أدهم) ، قفز هو خارجها والدماء تسيل من جرح في جبهته ، ويداه خاليتان من السلاح ، وارتفعت فوّهات المسدسات الثلاثة نحوه ، واندفعت أصابع الأوغاد نحو الزناد .. ولكن (أدهم) قفز فجأة في الهواء ، وبدت قفزه أكثر إثارة للذهول من قفزة سيارته ، وقبل أن ترتفع عين الذئاب الثلاثة إلى موقعه الجديد ، تلقى أولهم ركلة حطمت أنفه ، وفقد الثانى وعيه إثر ثمانية هشمات ترقوته ، وقبل أن يفهم الثالث ما أصاب رفيقه ، تمشَّم أنفه وفمه بثلاث لكمات ، تعاقبت على وجهه كالصاروخ ، وسقط الرجل ، وانتهت المعركة ، لتبدأ معركة جديدة عندما ارتفع صوت سيارة شرطة تقرب ، فغمغم (أدهم) في ضيق :

٥١

— يا لهي !! لن أخسر عمري كله في محاولة تبرير
ماحدث لرجال الشرطة .
وحانت منه الفتاة إلى حيث فقدت (منى) وعيها
داخل السيارة ، واستطرد :
— يبدو أنه لا مفرّ من مواصلة الهرب .

* * *

وقف رجل الشرطة يملك رأسه وهو يتطلّع في دهشة
إلى السيارة التي تمشّمت مقدمتها ، والرجال الثلاثة
الذين تآثروا حوفاً فاقدى الوعي ، ثم عاد إلى رجل
عجوز يقف إلى جواره ، ويسأله :

— هل لك أن تعيد على مسامعي مرة ثانية ما رأيته
يا مستر (جورج) ؟

ازدرد العجوز لأماه ، وكأنما يغلبه الانفعال ، ثم
أشار إلى نافذة صغيرة في الطابق الثاني من أحد أبنية
الشارع ، وهو يقول :

— لقد كنت أجلس في نافذة منزلي ، بعد أن جافاني

٥٢

النوم هذه الليلة ، وشاهدت تلك السيارة الصفراء
تندفع داخل الشارع في سرعة مذهلة ، لولا رب أن
قائدتها قد فوجئ بالسيارة الصغيرة في مدخل
الشارع ، فقد حاول تفاديها في مهارة ، ولكنه في النهاية
ارتطم بها و .. و

وغلبه الانفعال ، حتى أنه أخذ يلوح بيديه واصفاً
الحادث دون أن يتحدّث ، فقال الشرطي في ضجر :
— حسناً .. حسناً .. لقد قفز حسي تجاوز
نافذتك ، كما يحدث في الأفلام الأمريكية ، ثم استقر ثانية
على الأرض .. لقد سمعت هذه القصة ، ولكنك لم تخبرني
كيف وصل هؤلاء الرجال الثلاثة إلى هنا ، وكيف
حطّمهم رجل واحد هكذا .

مضى العجوز يشرح في حماس كيف قفز (أدهم)
من سيارته ، وطار في الهواء ، منقضّاً على الرجال
الثلاثة ، وأخذ يباليغ في وصف القتال بأطرافه ، حتى
أوقفه الشرطي قائلاً :

٥٣

— أين ذهب بعد ذلك أيها العجوز ؟
أشار العجوز بسبابته إلى سيارة (أدهم) ، وقال :
— لقد رأيته يخرج فتاة حسناء فاقدة الوعي من
السيارة ، وحملها بين ذراعيه ، ثم انطلق يعدو بها
مبتعداً .

مطّ الشرطي شفّيه بشكل ينم عن عدم تصديقه
لحرف واحد مما ينطق به العجوز ، وقال في فجة من
يحادث طفلاً :

— إذن فقد قفز بالسيارة ، وهبط بها بكل مهارة ،
ثم اشترك في قتال عنيف مع ثلاثة من العمالقة ، وهزمهم
في بساطة ، ووجد في نفسه القوة بعد ذلك أن يحمل
الفتاة ، ويعدو بها مبتعداً .. أليس كذلك ؟

أجابه العجوز في حماس :

— هذا ما حدث بالفعل .

رئّ الشرطي على كسف العجوز ، قائلاً :

٥٤

— شكراً يا سيّد (جورج) .. لقد أفدّتنا
كثيراً .
انصرف العجوز وهو يشعر بالفخر على حين انحنى
أحد رجال الشرطة على أذن الشرطي الأول وهمس :
— ما رأيك فيما قاله ؟
هزّ الشرطي كفيه وقال :

— لا يمكنني تصديق كلمة واحدة بالطبع ..
أراهنك أنها معركة بين فريقين قويّين .
ثم أشار إلى الرجال الثلاثة ، الذين بدأ نقلهم إلى
عربة الإسعاف ، وأردف :

— هل تصدّق أن رجلاً واحداً يمكنه أداء كل
هذا؟! .. إن ذلك مستحيل يا صديقي ... مستحيل ..

* * *

شعرت (منى) بصداع شديد حينما استمعات
وعيها ، وفتحت عينيها في صعوبة ، وسألته :
— ماذا حدث ..؟ هل تحطّمنا ؟

٥٥

ابتسم وهو يقول :

— هذا لله على سلامتكم يا عزيزي .

تلقت حولها تطالع إلى المنزل ، وهي تقول في دهشة :

— يا إلهي !! كيف نجونا ؟

أجابها في هدوء :

— لقد أراد لنا الله (سبحانه وتعالى) أن نواصل

القتال يا عزيزي .

سألته وهي تتحسس مواضع الألم في جسدها :

— ماذا ستفعل الآن بعد الأسلوب العدواني الذي

واجهنا به (أدولف) ؟

سحب (أدهم) مسدسه ، وأخذ يحشو خزانته

بالرصاصة في صمت ، ثم قال في هدوء ينذر بالثورة في

داخله :

— لقد حدثت ذلك الوغد ، ولكنه رفض الاستماع لما

أقول يا عزيزي .

٥٦

بدأ القلق يبعث بأعصابها ، وهي تسأله :

— ماذا تعني بهذا القول ؟

قال في هدوء وكأنه يتحاشى إجابتها :

— أعقد أنك تحتاجين لبعض الراحة يا عزيزي ،

ستقنين هنا حتى أعود .

سألته في جدّة :

— ماذا تنوي أن تفعل يا (أدهم) ؟

ابتسم ابتسامة مختصة ، وهو يقول :

— هل نسيت فارق الرتب أيها النقيب ؟

زوت ما بين حاجبيها في غضب ، وسألته في لهجة

أقرب إلى التوسل :

— أين ستذهب وحدك ؟

أعاد خزانة المسدس إليه ، ورفع صمام الأمان في

هدوء ، ثم تطالع إليها في ملاح جامدة تنذر بالخطر ،

وهو يقول في هدوء مخيف :

٥٧

— سأذهب لزيارة ذلك الوغد في مقره وسط

الأحراش يا (منى) ، سأحطّم وكر الذئاب البيض

فوق رؤسهم جميعاً .



٥٨

٧- تحت ضوء القمر ..

انقضت الغيوم عن قمر كامل الاستدارة ، يلقي

ضوءه على أحراش ذلك الجزء المنعزل خارج (كيب تاون) ،

واخفى (أدهم صبرى) خلف شجرة ضخمة ،

يراقب بمنظاره المقرّب تلك الفيلا التي أقامها (أدولف

حونين) وسط الأحراش ..

كانت الفيلا تبدو واضحة تحت ضوء القمر ، وهي

تتكوّن من طابقين ، تزين العلوى منهما شرفة واسعة ،

تحوى بعض المقاعد الخيزرانية المتناثرة ، ومنضدة

صفيرة ، اصطفت فوقها الكؤوس ، وزجاجات الخمر ،

وأمامها جلس (أدولف) بجسده الضخم ، وإلى جواره

(ساندر) ، يجرعان الخمر ، ويلتزمان بعض اللحوم

المشوية ، وهبط (أدهم) بمنظاره إلى أسفل ، ليرصد

ثلاثة رجال ضخام الجفّة ، يجمون حول الفيلا لحراستها

٥٩

في الليل .. وعاد (أدهم) يرتفع بمنظاره إلى الشرفة ،
وداعب عدسات المنظار لتقرب الصورة من وجهي
(أدولف) و (ساندر) ، وضالقت عيناه وهو يرقبهما في
إمعان ..

وهناك كان (أدولف) يقول في حدة :
— كان ينبغي أن ينسفوا سيارته نسفاً ، هكذا يكون
التعامل مع من هم على شاكلة ذلك الشيطان المصري .
أجابه (ساندر) في غضب :
— إن مراقبنا يدعى أنه لم يهلهم من الوقت ما
قاطعهم (أدولف) في غضب هادر :
— لقد كانوا يعلمون أنه يتحرك في سرعة : إنهم
ليسوا هواة .

ثم نهض من مقعده ، وأخذ يلوح بذراعيه وهو يتجه
إلى حاجز الشرفة ، مستطرداً :
— لقد فشلوا ؛ لأنهم تعاملوا معه كخصم عادي ،



وأخطى (أدهم صري) خلف شجرة ضخمة ، برالقب
بمنظاره المقرَّب تلك القبلا التي أقامها (أدولف سولن) ..

— لقد وصل ذلك الشيطان المصري إلى هنا .

تفجرت دهشة بالغة علي وجه (ساندر) ، وهمّ
بسؤال زعيمه ، إلا أنه تذكر أوامره ، فعاد يلوذ
بالصمت ، على حين أردف (أدولف) قائلاً :

— إنه يراقبنا في هذه اللحظة من خلف إحدى
الأشجار ، ولن يلبث كعادته أن يحاول اقتحام القبلاً ،
غير مبالٍ برجال الحراسة .

حانت من (ساندر) الضائقة تلقائية إلى حيث تمتد
الأحراش أمام القبلاً ، ثم غمغم بكلمات غير مفهومة ،
فابتسم (أدولف) في شراسة ، وهو يقول متابعاً :

— لا زبب أنك تحاول سؤالي عن كيفية معرفتي
ذلك ، إنه ضوء القمر يا (ساندر) .

تململ (ساندر) في مقعده دلالة على عدم اكتفائه
بهذه الإجابة ، فاستطرد (أدولف) :

— إنه يستخدم منظراً مقرَّباً ، ولقد انعكس ضوء
القمر على عدسات منظاره ، فرأيتَه ، ولقد طلبت منك

لقد ظنوا أنهم ذئاب ، ولم يقدرُوا الرجل حقَّ قدره ، إنه
ذئب حقيقي ، ذئب ترخيف أمامه الذئاب و
وفجأة .. بتر (أدولف) عبارته ، والتقى حاجباه
في دهشة وتساؤل .. ولشأن كان (ساندر) لم يَر
ما أصاب وجه زعيمه من تبدُّل ، فقد قال يستحته على
مواصلة الحديث :

— أهو يمثل كل هذه الخطورة يا زعيمى ؟

استدار إليه (أدولف) في هدوء ، وإن نمت
ملاحظه عن انفعال بالغ ، أثار دهشة (ساندر) ، الذي
هم بالنهوض من مقعده وهو يحث :

— ماذا حدث أيها الزعيم ؟

لوح له (أدولف) بكفه خفية ، وقال في حزم :

— لا تتحرك أو تنطق بكلمة يا (ساندر) ، استمع
إلى فقط .

ظهرت الدهشة على ملامح (ساندر) ، ولكنه
أطاع الأمر في صمت ، واستمع إلى زعيمه وهو يواصل
حديثه المنفعل ، قائلاً :

الصمت ، وأولىته ظهري خشية أن يكون باستطاعته قراءة حركات شفاهنا ، لقد كشفناه دون أن يدري يا (ساندر) .

ثم اتبسم في وحشية ، وهو يقول في انفعال متزايد :
— مُر رجائنا بالاستعداد لاقتصاصه ، حيث سيحاول اقتحام القبلاً من الأمام ، دعهم يجتمعون كلهم في الأمام ، وسأقتل من يبدى معرفته الأمر منهم ، لقد سقط الشيطان المصري ، وسنجعلها سقطته الأخيرة .

مضت نصف ساعة كاملة كلت فيها عيون الذئاب ، وهم يراقبون ما يحيط بالقبلاً من أحراش ، وبدأ الملل والشك يتسريان إلى نفوسهم ، والتفت نظراتهم في ضيق ، فقد كانوا سبعة رجال ، استيقظ أربعة منهم لينضموا إلى رجال الحراسة الثلاثة ، وازدادت أعصابهم توترًا مع مرور الوقت ، دون أن يحدث ما يثير

٦٤

الانتباه ، وفي نفس الوقت نظر (أدولف) في توتر إلى ساعته التي تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا ، وقال في حدة موجهاً حديثه إلى (ساندر) :

— لا يمكنني أن أكون غخطًا ، لقد رأيت لمعان عدسات منظاره و

قاطعته (ساندر) ، وهو يقول في تردّد :

— لعله أحد حيوانات الأحرش أو

صرخ (أدولف) في وجهه :

— الحيوانات لا تعكس ضوء القمر بهذا القدر أيها

الغبي .

عقد (ساندر) حاجبيه في غضب ، ولاذ بالصمت ، على حين واصل (أدولف) حديثه ، قائلًا في عصبية :

— إنه لم يضع خطته بعد ولا شك ، أو أنه يحاول مفاجأتنا ، أو

٦٥

(م م - رجل المستحل - ذئب الأحرش - ٣٦)

أخذ يفكر في احتمال ثالث ، وهو يتحرك في أرجاء الشرفة بعصية ، وتردّد (ساندر) طويلاً وهو يراقب توتر زعيمه ، ثم قال :

— ربما اكتفى بمراقبتنا فقط ، وانصرف .

توقّف (أدولف) عن التحرك بغتة ، وقطب حاجبيه في ضيق ، فقد بدا تفسير مساعده الذي ظللما وصفه بالغباء منطقيًا ، مقبولًا ، ولكن عناد (أدولف) أن يعترف بصحة هذا الاحتمال الجديد ، فلوح بذراعه وهو يقول في غضب :

— هذا غير محتمل ، لعله فقط يحاول كسب مزيد من الوقت .

سأله (ساندر) في خيرة :

— ولِمَ يفعل ذلك ، مادام لا يعلم أننا ننتظره ؟
مرة أخرى خرج (ساندر) بتعليل منطقي ، واجتاح الغضب جسد (أدولف) ، فصرخ في وجه معاونه :

٦٦

— اصمت يا (ساندر) ، إنك تمنعني من التفكير المتزن .

وفجأة .. قفز (ساندر) من مقعده ، وانجهد يده في صورة غريزية إلى جيب سرواله ، ولكنها تسمرت فجأة قبل أن تصل إلى هدفها ، وارتجف جسد (أدولف) الضخم في مزيج عجيب من الدهول ، والحروف ، والغضب ، فقد ارتفع من مدخل الشرفة صوت هادئ ساخر ، يقول صاحبه :

— معذرة لأنني تركتكم تتظنون طويلاً أيها الأوغاد ، ولكن هأنذا .

استدار (أدولف) في حدة ينظر إلى مصدر الصوت ، حيث تسمرت عينا (ساندر) المذهولتان ، وكاد يتفجر في بكاء القهر والغيظ ، عندما وقع بصره على (أدهم صبري) ، الذي وقف هادئًا ، ساخرًا يصوب إليهما المسدس الذي انتزعه مسبقًا من

٦٧

(ساندر) ، وكان (أدهم) يقول في لهجة تقطر
سخرية :
— ماذا أصابك ؟ .. هل أدهشتك رؤيتي يا وغد
الأوغاد ؟



٨— أحرش الموت ..

انهار (أدولف حوتين) فوق أقرب المقاعد إليه ،
وسال على وجهه عرق غزير ، وهو يغمغم في حشجة :
— كيف .. كيف وصلت إلى هنا ؟
هزّ (أدهم) كفيه في استهتار ، وقال :
— لقد درت حول القبلا ، وتسلّلت متستراً
بالأحرش ، ومن حسن الحظ أني لم أجد رجلاً واحداً
من رجالك عند الباب الخلفي .
ثم أردف في سخرية ، وكأنه يلحن ذنب (الموساد)
درسا :
— كان ينبغي أن تزبل تلك الأعشاب المرتفعة من
حول القبلا أيها الوغد ، إنها عالية إلى درجة تسمح
بتسلل قطع من الأفبال في وضع النهار ، دون أن ينتبه
رجل حاد البصر .

٦٩

جفّف (أدولف) عرق الخوف براحته ، وغمغم في
شحوب :
— هل كنت تعلم أنني أنتظرك ؟
ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :
— لقد كنت أراقبك وتابعك الوغد من خلال
منظاري المقرّب ، وكنت أحاول قراءة حركات
شفاهكما ، حينما ظهر على وجهك انفعال عجيب ،
واستدرت فجأة توليني ظهرك ، ثم ظهرت الدهشة على
وجه معاوناك ، وأخذ يخلص النظر إلى حيث أختبئ ،
وكتبت أنت تتحدّث إليّ في انفعال شديد ، دون أن
يبس هو بنت خفة ، وكان من السهل أن أستنج أنك
قد كشفت مراقبتني لك بوسيلة أو بأخرى .
عاد (أدولف) يجفّف عرقه في إحباط ، على حين
واصل (أدهم) حديثه قائلاً :
— ولقد أعطأت أنت بجمع رجالك كلهم
لواجهتي حيث رأيته ، وهذا خطأ تكبيكي خطير ،

٧٠

فلقد مكّنتي ذلك من الدخول إلى القبلا في هدوء
وبساطة عبر الجانِب الآخر ، واستخدمت معكم بعض
ماتعلمناه من أساتذة التخطيط الحرقى في (مصر) ،
فتركتكم تنتظرون طويلاً حتى يصل توتركم إلى ذروته ،
ويتباكم الشك فيما ذهبتم إليه ، ثم باغتكم بشكل
يكفل تحطيم البقية الباقية من أعصابكم .. إنها خطة
سهلة تكفي للإيقاع بفتران مثلكم .
شعب وجهه (أدولف) ، وغمغم في صوت
متحشرج :
— ماذا تريد يا مستر (أدهم) ؟
أجابته (أدهم) في صرامة ، وهدوء :
— نفس ما طلبته منك في المهلي الليل أيها الوغد ،
وسأضيف إلى ذلك اعترافاً مسجلاً بما الترفته منظمك
الإجرامية في حقّ المصريين .
حاول (أدولف) استجماع شجاعته ، وهو
يقول :

٧١

— لاتنس أنك تصف وسط أرضي يامستر
(أدهم) .

ابتسم (أدهم) في سخريه واستهتار ، وهو يقول :
— لا يمكن لرجالك أن يروى من هذه الزاوية أيها
الوغد ، ولو أنك حاولت تبيهم إلى وجودي ،
فسيسبق موتك ذلك .

ازدرد (أدولف) لعابه في صعوبة ، وحاول أن يبدو
قويًا وهو يقول :

— أنت لا تلجأ للقتل إلا نادراً يا مستر (أدهم) ،
هذا ما أخبرونا به في دراساتنا عنك ، أنت خصم
عجيب تشبه بفرسان العصور الماضية ، ولن تقتل أبداً
رجلاً أعزل .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باردة ، وهو يقول :
— ولكنني أستطيع تحطيم فك مثل هذا الرجل ، في
صراع متكافئ بالأيدي العارية أيها الوغد .

تلاشت محاولة (أدولف) للظاهر بالشجاعة ،
وعاد وجهه إلى ضحوبه وهو يقول :

— إن ما تطلبه مستحيل يامستر (أدهم) ،
سيعدموني لو أنني فعلت ذلك .

هز (أدهم) كتفيه ، وهو يقول :
— وسأعدمك أنا لو لم تفعل أيها الوغد .
وفجأة .. وبدون سابق مقدمات ، استدار (أدولف)
إلى حاجز الشرفة ، وصرخ في مزيج من الرعب واليأس :

— إلى يارجال .. إنه هنا .
ولم يكذب (أدولف) يفعل ذلك ، حتى انقض
(ساندر) على (أدهم) ، محاولاً انتزاع مسدسه .

كانت مبادرة (أدولف) قد قلبت موازين القوة
فجأة ، فلقد كان محقاً في أن (أدهم) يفيض اللجوء إلى
القتل ، وهو في الوقت نفسه معرض لهجوم سبعة رجال
مسلحين بالأسلحة النارية ، ومقاومة (ساندر)

و (أدولف) ، والعمل على نجاح مهمته في الوقت نفسه ،
لم يكن الفرور من صفات (أدهم) يوماً ، ولكنه كان
يعلم جيداً أنه أقوى رجال إدارة المخابرات المصرية ، وأن
فشله في هذه المهمة ربما يعنى أن توصم (مصر) بجريرة
قتل الوطنيين الزنوج في (جنوب إفريقيا) إلى الأبد ، لذا
فقد وجد نفسه ملزماً بتحقيق النصر ..

دفع هذا الشعور طاقة هائلة في عروق (أدهم) ،
ولم يكذب (ساندر) يتقاض عليه ، حتى يادره بلكمة
ساحقة غاصت في معدته ، وتأوه لها هذا الأخير في ألم
رهيب ، وقبل حتى أن تكتمل تأوهات ، كان (أدهم)
قد حطم فكّه السفلي بمقبض المسدس الذي يمسكه
يميناه ، وسقط (ساندر) فاقد الوعي في نفس اللحظة
التي ارتفع فيها صوت الذئاب السبعة وهم يسرعون إلى
الشرفة .. فالثقت (أدهم) إلى (أدولف) ، وقال في
صرامة جمّدت الدم في عروقه :

— أعد جهاز التسجيل أيها الوغد ، فستملي
اعترافك بعد أن أتبي من تحطيم ذنابات السبعة .

وفي نفس اللحظة التي نطق فيها (أدهم) آخر
حروف كلماته ، اندفع الرجال السبعة داخل الشرفة ،
وارتفعت فوهات مسدساتهم نحو (أدهم) ، الذي قفز
جانباً في مهارة ، وأطلق رصاصات مسدسه الست
دفعه واحدة ..

توقّف رجال (أدولف) في ذهول ، حتى ذلك
الذي ظل محفظاً بمسدسه منهم ، فقد أطارت
رصاصات (أدهم) الست التي انطلقت متعاقبة في
سرعة مذهلة مسدساتهم ، دون أن يصاب أحدهم
بخدش واحد ، كان هذا يوحي بأن خصمهم لا يتقن
إطلاق النار فحسب ، بل إنه يعلم أيضاً كيف يتقاتل
الرجال .

وصرخ (أدولف) ليخرج رجاله من ذهولهم :
— حطّموه يارجال .. أنتم سبعة في مقابل واحد ،
مزقوه إرباً .

اندفع الذئاب الستة الذين فقدوا أسلحتهم نحو (أدهم) ، وغيوهم تصرخ بالشر ، وأنبوا مرة أخرى أنهم فاشلون تمامًا في التكتيك الحربي ، فقد صنعوا من هجومهم سائرًا يحول بين مسدس زميلهم السابع ورأس (أدهم) ، الذي استقبلهم كما ينبغي أن يفعل ضابط قوات خاصة سابق ، وضابط مخابرات مصرى حالى يعرف باسم (رجل المستحيل) .

فقد تحركت أطراف (أدهم) الأربعة دفعة واحدة ، وعلى نحو مذهل ، حتى بالنسبة لبطل ألعاب القزى في أولياد عالمي ، وحطمت قبضته اليمنى فك أقرب الرجال إليه ، وهشمت اليسرى أنف الثاني ، وارتفعت قدمه اليمنى لضوض في معدة الثالث ، واليسرى لتركل وجه الرابع .. كل هذا في اللحظة الأولى من القتال ، ولم تكد تبدأ اللحظة الثانية حتى تلقى الرجل الخامس لكمة في منتصف صدره ، هشمت إحدى ضلوعه ، وتحطمت ترقوة السادس بلكمة أخرى هوت عليه كالصاعقة ..

٧٦

وقف الرجل السابع مرتبكًا حائرًا ، ويده تتحرك همةً وبسرةً ، في محاولة لإيجاد ثغرة يطلق منها النار على رأس (أدهم) ، ولكن اللكمات والركلات المتوالية التي كان (أدهم) يطلقها همةً وبسرةً ، أصابته بخيرة بالغة ، وخشى أن يطلق رصاصة واحدة دون أن يتبين خصمه جيدًا ، وسط ذلك السخضم من الأذرع والسيقان المشابكة ، وزاد من خيبرته وارتبائه تلك الصرخات التي أخذ يطلقها (أدولف) في محاولة لحث رجاله على هزيمة خصمهم الشيطاني الرهيب ، الذي يقاتل في بسالة ككيبية كاملة ..

وأخيرًا .. ظن الرجل السابع أنه قد وجد الطريق إلى رأس غريمه ، فأسرع بضغط زناد مسدسه ، وانطلقت الرصاصة من فوهة المسدس تحمل توقيع الموت لمن تلحق به ، وتوقف الجميع بغتة .. توقف الرجال الستة لأنهم فقدوا وعيهم ، وتسمّر الرجل السابع على صوت رصاصه وهي ترتطم بعظام صلبة ، وأصابت

٧٧

رصاصة الموت هدفًا ، وانقض ملك الموت ليحصل على فريسته ، وسط أحراش (كيب تاون) التي لا ترحم أحدًا .



٧٨

٩ - أطياف الفشل ..

كان أول صوت اتسعت بعد ذلك التوقف المفاجئ ، هو صوت (أدولف حنين) ، الذي أطلق خوارًا كالنور الذبيح ، ورحطت عيناه حتى كادت تنفجران عبر مقليته ، وتدلى لسانه خارج فمه ، في شكل مخيف مزعج ، وتدفق الدم غزيرًا من الثقب المستدير الذي صنعه رصاصة رجله ، وغطى الدم وجه (أدولف) وتقاطر على أرض الشرفة ، ثم سقط جثة هامدة فوق المنضدة ، مُسقطًا زجاجات الخمر ، وأطباق اللحم التي امتلأ بها جسده عن آخره ، وسقط معه أمل (أدهم) في الحصول على اعتراف مسجل ببراءة (مصر) من جريمة قتل الوطنيين الزوج .. اتسعت عينا الرجل السابع في رعب ، وقد تبين فداحة ما ارتكبت يده ، وقبل أن يستعيد اتزانته كانت

٧٩

ظهر اليأس في عيني الرجل ، وقال في لهجة أقرب إلى البكاء :

— افعل إذن ، فلا ريب أنك ستقتلني بوسيلة أكثر رحمة مما يفعلون .

صمت (أدهم) لحظة مفكراً ، ثم سأل الرجل :
— هل يمكنك أن تدلي باعتراف غير رسمي إذن ؟
تطلع إليه الرجل كهريق يتعلق بآخر أمل في النجاة ،
وصاح :
— سأفعل كل ما تطلبه مني ، مادام أحد لن يعلم ذلك .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— حسنًا يا رجل... ستخبرني بكل ما فعلتم .

* * *

توقفت سيارة صغيرة تقل (منى توفيق) ، أمام منزل (موناसा) ، في ذلك الحى الفقير من أحياء (كيب تاون) ، وقفزت هي منها بادية القلق ، ودقت

٨١

(م م - ٦ - رجل المستحل - ذلب الأحرار - ٣٦)

قدم (أدهم) قد أطاحت بمسدسه ، وجذبه (أدهم) من قميصه في قوة ، ورفع قبضته ليكفيه ، إلا أن الرجل صرخ في رعب وهو يخفى وجهه بكفيه :

— كلاً .. كلاً .. سأفعل كل ما تطلب .

كان العنف المتوالى ، ومصرع الزعيم قد حطّما أعصاب الرجل ، وكان مستعداً للتعاون بصدق ، فدفعه (أدهم) نحو أقرب المقاعد إليه ، وسأله في صرامة :

— هل أنت مستعدّ لتوقيع اعتراف بما فعلته المنظمة ، وبقتلكم ضابط المخابرات المصرى الذى سبقنى إليكم ؟

ظهرت الخيرة في عيني الرجل ، وقال :
— سيقتلوننى لو أننى فعلت ذلك ، إنهم لا يرحمون من يشي بهم .

بدت عينا (أدهم) صارمتين ، وهو يقول :
— سأقتلك أنا لو أنك لم تفعل .

٨٠

— لا ريب أنك أخطأت يا سيّدق .
تنهّدت (منى) في ضيق ، وحاولت تدكّر عبارة السرّ التى اتفق عليها مسبقاً ، ولكن حالة القلق والتوتر التى تمرّ بها وقفت حائلاً دون ذلك ، فقالت في ضيق :
— صدّقنى أيها العجوز ، لقد كانت هناك عبارة سرّية تبدأ بحديث عن الأسود و

قاطعها العجوز ، قائلاً في برود وهو يغلّق الباب :
— لقد أخطأت يا سيّدق .

لم تجد (منى) مفرّاً مما فعلته ، فقد أخرجت فجأة مسدسها الصغير ، ووضعت على رأس العجوز وهى تقول :

— حسنًا أيها العجوز .. لقد اضطررتنى إلى هذا الأسلوب .

شحب وجه العجوز وهو يقول :

— هذا اعتداء على حرّمات خاصّة يا سيّدق .
قالت في برود :

٨٣

باب المنزل غير مبالية بقدموها في مثل هذا الوقت من الصباح المبكر ، وأطلّت بعض الوجوه السوداء ، تحدّقت في دهشة بملك البيضاء التى تقتحم حىّ الرتوج في حقل هذا الوقت ، ولم يلبث الزنجي العجوز أن فتح باب المنزل الصغير ، ووقف يتطلّع إليها في دهشة ، ثم غمغم في سخط :

— إنها الرابعة صباحاً يا سيّدق و

قاطعته بسؤال حاسم :

— أريد مقابلة (موناسا) .

أخفى العجوز دهشته ، وهو يقول :

— لا يوجد من يحمل هذا الاسم هنا يا سيّدق .
أجابته في خشونة :

— لقد قابلته هذا الصباح ، وكنت أجهل بشرة سوداء ، بصحبة زميل لى يدعى

قاطعها العجوز ، وهو يتأمّل ملامحها البيضاء في شك :

٨٢

— إننى أتحمّل النتائج .
 أفسح لها العجوز الطريق ، فاندفعت إلى المنزل ،
 واتجهت مباشرة إلى الساتر الذى يغطى الحائط المقابل ،
 فأزاحته ، ومدت يدها تفتح الباب الداخلى ، ولكنها
 فوجئت بصوت يأتى من خلفها قائلاً :
 — لا يوجد أحد يا سيّدق ، لقد انصرف الجميع .
 استدارت (منى) إلى مصدر الصوت ، فرأت رجلاً
 زنجياً يصوب إليها مسدساً ضخماً ، ويتسم ابتساماً لم
 ترق لها ، وأرادت إنبات حسن نيتها ، فأبعدت
 مسدسها وهى تقول :
 — إننى أنتمى إلى المعسكر الصديق ، وأنت السيد
 (بتسوى) .. أليس كذلك ؟.. لقد تقابلنا هذا
 الصباح .
 بدت ابتسامته مقيتة ، وهو يقول :
 — لست أذكر هذا يا سيّدق .
 صاحت فى يأس :

— حاول أن تتذكّر يا سيّد (بتسوى) ، الأمر
 خطير للغاية ، فينكم خائن أخشى أن يتسبّب فى
 مصرع زيمى و ...
 قاطعها قائلاً فى برود :
 — أعلم ذلك يا سيّدق :
 صاحت فى أمل :
 — أخبرنى إذن أين أجد (كوآنا) ؟.. لقد وصلت
 معلومات جديدة و ...
 عاد يقطعها ، وقد تحوّلت ابتسامته إلى تعبير
 مخيف :
 — ستخبريننى كل مالديك من معلومات
 يا سيّدق .
 نظرت إليه (منى) فى دهشة ، على حين صاح
 العجوز فى اهتمام :
 — مادمت تعرفها ، فلم لا ندعوا (موناسا) و ...
 وفجأة .. بتر العجوز عبارته ، واتسعت عيناه رغياً



استقرت فى رأس العجوز ، الذى سقط جثة هامدة ،
 دون أن ينس بنت شفة ، وتراجعت (منى) فى فرع ..

وهو يحدّق فى وجه (بتسوى) فى ذهول ، وغمغم
 محشرجاً :
 — إنه لم يكن (كوآنا) .. إنه ..
 انطلقت رصاصة من المسدس غير كاتم للصوت ،
 وصدر منها فيحيح كالأفعى ، ثم استقرت فى رأس
 العجوز ، الذى سقط جثة هامدة ، دون أن ينس بنت
 شفة ، وتراجعت (منى) فى فرع وهى تقول :
 — يا إلهى !! أنت .
 أجابها (بتسوى) فى هدوء :
 — نعم يا سيّدق ، لقد أخطأتم بشأن (كوآنا) ،
 وسيكون مصرعك ثمن هذا الخطأ .

ظلت (منى) تحذق في وجه (بتسوى) دقيقة كاملة في ذهول ، ثم لم تلبث أن تماكنت أعصابها ، وقالت :

— ولكن (كوانا) هو الذى

قاطعها (بتسوى) ، وهو يقول في لهجة ساخرة :
— هو الذى قال إن السيد (أدهم صبرى) أبيض البشرة ، وهذا مادفعكم إلى الشك فيه .. أليس كذلك ؟

ثم أطلق ضحكة ظافرة مع علامات الدهول التى ارتسمت على وجه (منى) ، وتابع قائلاً :

— إن (كوانا) غيبى كالأخرين ، إنه يؤمن بالغيبيات كالسحر والرؤيا وخلافهما ، ولقد كنت وزملائى من (الموساد) نتوقع أن ترسل اخبارات

المصرية شيطانها الشهير لإنهاء القضية ، مادام زميله السابق قد لقي مصرعه على أيدينا ، وفي اليوم السابق لقدومكم ، أوهمت أنا (كوانا) أنى رأيت رؤيا تقول إنه سيصل إلينا رجل مخابرات مصرى يدعى (أدهم صبرى) ، وأنه أبيض البشرة ، وسيظاهر بمعاونتنا ، ولكنه سيقرودنا إلى حفنا في النهاية .

وابتسم كمن يشعر بفخر لما فعله ، ثم أردف :

— ولم يكذ الشيطان المصرى يعلن عن اسمه في حجرة القيادة ، حتى أطلق (كوانا) شهقة دهشة ، فقد ظن هذا يؤيد رؤياى ، ودفعته ثقته هذه إلى أن يعلن أن (أدهم صبرى) رجل أبيض متكبر في هيئة زنجى ، وكان هذا كفيلاً بخداعكم حتى تتصوروا أنه الجاسوس المنشود .

مطت (منى) شفيتها ، وهى تقول :

— لقد خدعنا بالفعل .

ابتسم في فخر ، وقال :

— لقد تأكدت من ذلك ، حينما أخبرنى (مونا سا) أنكما حدّثتماه من (كوانا) .. لقد تصوّرتم أنكم تتعاملون مع أغبياء ، ولعل هذا يؤكد لك أننا أذكى جهاز مخابرات في العالم أجمع .

تأملت (منى) لحظة في صمت ، ثم سأله :

— لماذا لم تحاولوا القضاء على منظمة (الأسود السود) مباشرة ، بدلاً من التسجّس عليها طوال الوقت ؟

ضحك في سخرية ، وقال :

— سؤالك هذا يثبت أننا الأقوى والأذكى .

ثم ضاقت عيناه ، وهو يستطرد قائلاً :

— لو أننا قضينا على منظمة (الأسود السود) ، لبرزت منظمة جديدة تهاض من أجل الحرية ، كما يحدث في كل البلاد المحتلة ، وبدلاً من اللجوء إلى ذلك الأسلوب الأحمق ، فضلنا أن نترك (الأسود السود) يعملون تحت أبصارنا ، وكنا دائماً قادرين على معرفة

أسرارهم وتنبع خطواتهم ، وإيقاف أعمالهم وتطوّرهم ، وهم يظنون أنهم يعملون تحت ستار من السرية والأمن ، والدليل على نجاح أسلوبنا ، هو نجاحي في التوصل إلى ذلك المنصب القيادى فى منظمة (الأسود السود) .. لقد نجحت في خداعهم جميعاً .

عقدت (منى) ذراعها أمام صدرها ، وسألته :

— لماذا حاولتم تحطيم العلاقة بين (مصر) ومواطنى (جنوب إفريقيا) إذن ؟

مطت شفيتها في غرور ، وهو يجيبها قائلاً :

— لقد بدأ هؤلاء المواطنون الأغياء ينظرون إلى (مصر) ، وكأنها مهد الحرية وشعاع الأمل في (إفريقيا) ، وبدءوا يتطلّعون إلى مافعلته بالمستعمرين ، وهنا كان لابدّ من تحطيم مثلهم الأعلى هذا ، وفي هذا الخصوص لم يكن أمامنا سوى قتل بعض الوطنيين على نحو بشع ، وإلحاق التهمة بالسفارة المصرية .. لعبة سهلة .. أليس كذلك ؟

سألته في جدّة :

— وماذا يقيد (الموساد) من ذلك ؟ إنكم لا تحتلون (جنوب إفريقيا) .

أجابها في برود :

— ولكن لنا مصالح عديدة تعتمد على بقاء الوضع على ما هو عليه هنا .. ثم إن عدوى التحرر تنقل دائماً بشكل يسبب لنا الكثير من المشاكل في دولتي .

قالت في لهجة ساخرة :

— الطيور على أشكالها تقع .

هزّ كتفيه وهو يقول :

— ربما !!

ساد الصمت لحظات ، ثم عادت (منى) تسأله :

— من قتل زميلنا السابق ؟

ابتسم وهو يقول :

— لقد نجح زميلكم السابق في الوصول إلى كشف

شخصي ، وكان هذا يمثل خطراً بالغا على خططنا ، والأدهى أنه نجح في الوصول إلى وكسر الزعيم

٩٢

(أدولف) ، وكاد يحصل على وثائق خطيرة تدين تنظيم (الذئب الأبيض) بأكمله ، ولم يكن أمامي سوى قتله :

ظهر الغضب على وجه (منى) ، وهي تقول :

— هل قتلته أنت ؟

أجابها في سخرية :

— إنني أعشق قتل ضباط المخابرات المصرية .

أشارت (منى) إلى جثة العجوز ، وقالت :

— هل تعشق قتل المسّئين أيضاً ؟

أجابها في برود :

— من قال إنني قتلته ؟ أنت التي فعلت ذلك .

اتسعت عينها دهشة ، وهي تقول :

— أنا ...؟ هل تنوى الصاق التهمة بي ؟

ابتسم في شراسة ، وهو يقول :

— سأنزع كاتم الصوت من مسدسي ، وأطلق منه

رصاصتين ، ستستقر أولهما في رأسك الجميل ، والثانية

٩٣

في سقف المنزل ، وحينما يهرع الوطنيون إلى هنا ، سأبدي الجزع أمامهم ، وسأقول إنك قتلت العجوز ، فاضطرت لقتلك دفاعاً عن نفسي .

سألته في غضب ، دون أن يبدو عليها أثر الخوف :

— وهل تظن أنهم سيصدّقونك ؟

تألقت عينها في وحشية ، وهو يقول :

— إن عقولهم الضعيفة تجعلهم شديدي الحساسية

تجاه البيض ، وهم يميلون إلى تصديق كل ما ينسب إلى

البيض من أعمال إجرامية ، ولا تنسى أن الجميع رأوك

تهبّدين العجوز بمسدسك ، وتدخلين إلى المنزل عبوة .

سألته في هيبوء :

— وهل تظن أنك ستجو ؟

هزّ كتفيه قائلاً :

— بالطبع .. بل ربما أقمّدى ، فأطلق النار على

(كوانا) بحجة أنه جاسوس قذر .. ولن يدهشني أن

أصبح عمّاً قريب زعيم منظمة (الأسود السود) .

٩٤

أطلق ضحكة ساخرة عالية ، إعجاباً بخطته الجهنمية فغمغت (منى) :

— ياها من خطة شيطانية !! ستكون زعيماً لمنظمة

سوداء ، وعميلاً لمنظمة بيضاء في الوقت ذاته ، وستبدو

المنظمتان متصارعتين ظاهرياً ، ولكنهما متعاونتان

داخلياً ، فلا ريب أنك ستقود (الأسود السود) إلى كل

ما هو ضد خطة يخبئونها عن الحرية .. أليس كذلك ؟

ضحك في وحشية ، وهو يقول :

— سيساعدني حماسهم الأعمى على ذلك ،

وستبدو أعمالي ثورية عظيمة ، وستعتمد على بعض

الاضغاليات والأعمال التخريبية التي تجعلهم يبدون في

صورة همجية ، تفقدتهم تأييد العالم أجمع .

ابتسمت (منى) في سخرية عجيبة ، وهي تقول :

— يالك من متفائل !!

انعقد حاجباه في غضب ، وهو يقول :

— ستجح خطتي أيها المصرية و .. .

٩٥

١١ — المفاجأة ..

حدّق (بتسوى) في الجمع الذي يراقبه في ذهول ،
وحاول أن يمسك خيوط اللعبة مرة أخرى ، فصاح
مظاهراً بالجزع :

— لقد ألقيت القبض على البيضاء ؛ لأنها قتلت
العجوز ، لقد كنت

قاطعها (أدهم) ، وهو يقول في سخرية :

— عجباً .. إننا لم نسمع صوت رصاصة تنطلق من
مسدسها أيها الوغد ، ومسدسك وحده هو المزود بكاتم
للصوت .

شحب وجه (بتسوى) ، وهو يقول :

— إنه مسدسها لقد انتزعه منها و

عاد (أدهم) يقاطعه ، قائلاً :

— لم تعد هناك فائدة أيها الوغد ، لقد كشفت أمرك

وفجأة .. بتر عبارته ، وتطلّع إليها في ريبة ، وقال :

— ولكن كيف تبدين هادئة هكذا ؟ هل

وقبل أن يتم عبارته ، فتحّ باب المنزل فجأة ، وبدا

على عتبه (أدهم صري) باسمًا في سخرية ، وإلى

جواره (موناسا) بادى الغضب ، وخلفهما عشرات

من المواطنين الزنوج ، وتجاهل (أدهم) وجود

(بتسوى) تمامًا ، ونظر إلى (منى) ، قائلاً في هدوء :

— هل أدّيت عملك كما ينبغي يا عزيزتي ؟

وأمام عيني (بتسوى) الداهلتين ، رفعت (منى)

ساعة يدها أمام وجه (أدهم) ، وابتمت هي تقول

في هدوء :

— نعم يا زميلي العزيز .. لقد سجلت كل كلمة

نطق بها هذا الوغد .

* * *

— لقد كنت أخدعها و

قاطعها (أدهم) في سخرية :

— وتماذيت في خداعك إلى حدّ قتل العجوز ..

كلّاً أيها الوغد ، لقد فشلتي في آخر محاولة للخداع .

القط (موناسا) طرف الحديث من بين شفتي

(أدهم) ، وقال في غضب :

— لقد سمع الجميع كل كلمة نطقت بها أيها

الخانن ، لقد تكشّفت أماننا أبعاد اللعبة القذرة التي

كنت تستجها حولنا ، ولقد تشاورنا في الأمر ونحن

نستمع إلى اعترافك ، ولم نناقش الأمر طويلاً ، بل

حاکمناك ، وأصدرنا حكمنا فوراً .

وصمت لحظة تضاعف فيها الغضب في ملامحه ،

قبل أن يردف قائلاً :

— ولقد جاء الحكم بعد موافقة الجميع بالإعدام .

شحب وجه (بتسوى) بشدة ، ثم تحرك فجأة قبل

أن ينتبه الجميع إلى ما يتوهمه ، وقبل أن يقفز (أدهم)

بنفسك ، لقد اعترف لي أحد رجال (أدولف) أنك أنت

الخانن ، وأنت أنت الذي قتلت زميلنا (عبد الفتاح) ،

ولكنني لم أكن أملك دليلاً يكفي لإقناع (موناسا)

والآخرين ؛ لذا فقد فكرت في هذه الخدعة ، وحضرت

(منى) إلى هنا متظاهرة بالجزع ، وأدّعت أنها تلتقت

معلومات جديدة ، ودفعتك محاولتك منعها من إخباري

إلى كشف نفسك أمامها ، وكنت مطمئناً إلى أنك

سقطتها ، فيدفن سرّك معها .

وابتمت في حنان وإعجاب وهو يتطلّع إلى (منى) ،

قبل أن يتابع قائلاً :

— وأعترف أن (منى) قد قامت بدورها على

أكمل وجه ، ولا يزال أنها تفوّقت على أعظم ممثلي العالم

وهي تؤدّي دور الداهلة ، حينما اعترفت أمامها

بجائنتك ، وقادتك كالأبله إلى اعتراف كامل ، سجلته

أجهزتنا ونحن نجلس داخل سيارتها أمام المنزل .

قال (بتسوى) ، في محاولة يائسة للنجاة :

نحوه كان قد طوّق عنق (منى) بذراعه ، والصق فؤده
مسدسه بجيبتها ، وقال في صوت وحشى صارخ :
— سأصدر حكماً بإعدامها قبل أن يتحرك واحد
منكم أيها السادة ، ولكم أن تختاروا .. حياتها أو
حياتي .

ضاحت عينا (أدهم) ، والتقى حاجباه ، وهو
يقول في لهجة باردة :

— إنك تريد موقفك صعوبة أيها الوجد .
أطلق (بتسوى) ضحكة ساخرة تفيض مرارة ،
وقال :

— أى موقف هذا الذى سيزداد صعوبة أيها
الشیطان المصرى ؟ لقد أصدرتوا حكمهم على بالإعدام ،
هل تعرف ما يفوق ذلك ؟
خرجت كلمات (أدهم) باردة كالثلج ، حادة
كالسيف ، مخيفة كالوت ، وهو يقول :

١٠٠

— نعم أيها الوجد ، هناك ما هو أكثر من الموت ،
ولو لم تطلق سراح (منى) فوراً ، لأذقتك من العذاب
ما تمنتى معه الموت ألف مرة .

شحب وجه (بتسوى) ، وشعر بكلمات
(أدهم) الباردة تحمّد أطرافه ، ولكنه سرعان ما انفض
هذا الشعور عن نفسه ، وقال في عناد :

— ولو لم تبعد عني ، وتفصح لى الطريق لحوّلت
رأس زميلتك الجميلة هذه إلى كومة من اللحم المفري .

ظل (أدهم) صامئاً يحدّق في عيني (بتسوى) في
صرامة ، ثم قال في هدوء يحمل دَوَامات الخطر :
— لو أنك مست شعرة من رأس (منى) ،
فسأمرّك إرباً أيها الوجد .

صرخ (بتسوى) في غضب :

— كُفّ عن مناداتى بالوجد .

أجاب (أدهم) في صرامة وعناد :

— كلّاً أيها الوجد .

٩٠١

ظهر غضب عارم عنيف على وجه (بتسوى) ،
وشدّد ضغط ذراعه على رقبة (منى) ، وهو يصرخ :
— أفسح الطريق أيها المصرى .. إننى أمرّك .

وبدلاً من أن يتزاح (أدهم) جانباً ، تقدّم نحو
(بتسوى) بخطوات بطيئة ، قائلاً في برود كالثلج :
— أتركها أيها الوجد ، قبل أن تتمنى الموت .

تراجع (بتسوى) وهو يصرخ :
— سأقتلها .. أقسم لك إننى سأفعل .

تضاعف الغضب في عيني (أدهم) ، وهو يواصل
تقدّمه نحوه ، قائلاً :

— أقتلها لو أنك تملك الجرأة لفعلت ذلك ، إنك
تمثل دولتك خير تمثيل ، فأنت تحيد الخداع والتلاعب ،
ولكنك لا تقدر على مواجهة من يفوقك قوة .

صرخ (بتسوى) ، وقد التصق بالحائط :
— قلت لك إننى سأقتلها .

١٠٢

ثم حوّل اتجاه مسدسه فجأة نحو (أدهم) ،
وضغط الزناد .

انطلقت الرصاصات من فؤده مسدس (بتسوى) ،
ولكنها لم تتطلق نحو (أدهم) ، وإنما أصابت سقف
الحجرة .. فلم يكدر (بتسوى) يزيح فؤده مسدسه عن
رأس (منى) ، حتى انقض عليه (أدهم) كالقنبلة ،
وأزاح ذراعه المسكة بالمسدس إلى أعلى ، ثم رفع يده
الأخرى بعيداً ليفلت عنق (منى) من قبضته ، وقبض
على ذراعى (بتسوى) بقبضتين كالقولاذ ، ورفع يده عن
الأرض كطفل صغير ، ثم جمع غضبه ومقته في لكمة قوية
هوى بها على فكّ (بتسوى) ، وأعقب ذلك بأخرى في
معدته .. وثالثة في أنفه ، ورابعة ، وخامسة ،
وسادسة ، وفي كل ضربة كأن (أدهم) يودع جزءاً من
غضبه وكرهيته للعصبّ والعنصرية ، حتى صرخت
(منى) :

٩٠٣

— كفى يا (أدهم) .. إنك سقتله .

توقّف (أدهم) عن توجيه لكماتسه إلى (بتسوى) ، وسقط هذا الأخير متكوراً على أرض العرقة ، والدماء تسيل من فمه وأنفه ، ولأنت ملامح (أدهم) وهو يستدير نحو (منى) ، سائلاً إياها في هدوء :

— هل أنت بخير يا عزيزي ؟

أومات برأسها إيجاباً ، على حين ربت (موناसा) على كتف (أدهم) ، وقال :

— إننا ندين لك بالحافظة على منظمنا ومناصرة قضيتنا يا سيد (أدهم) .. لقد فعلت (مصر) من أجلنا الكثير .

ثم استدار إلى مواطنيه الذين يتابعون الموقف ، وقال :

— لعل هذا يكون درساً لكم يا إخوة الوطن .. لقد خاننا زنجي مثلنا ، وعاوننا رجل وامرأة هما بشرة بيضاء ،

ولكن هذا دليلاً على أن لون البشرة لا يصنع البطل والخانن ، ولا الذكي والعسى ، ولا الشريف واللص ، وإنما هو غلاف خارجي يخفي موطن الحقيقة .

و ضرب موضع قلبه في قوة ، وهو يقول :

— القلب .. القلب هو موطن الحقيقة يا رفاق

ربت (أدهم) على كتفيه ، وقال باسمًا :

— مهلاً يا صديقي (موناसा) ، فلنؤجل هذه الخطبة إلى الغد ، فأنا أتوق إلى بعض النوم ، ولقد انبلج الفجر بالفعل .

استدار (موناسا) يتأمل ملامحه في إعجاب ، ثم ابتسم ابتسامة شملت وجهه بأكمله ، وبسط ذراعه أمامه قائلاً :

— أنت محق يا صديقي المصري ، لقد انبلج فجر جديد .

وفي صمت أبلغ من الكلام ، مدّ (أدهم) كفه ،

وتصافح الرجلان ، ليؤكد صداقتهما والتقاء شعبيهما

تحت راية الحرية وكرهية الميول الاستعمارية .

* * *

١٢ - الختام ..

عاون (أدهم) (منى) في حل حزام مقعدها ، حيناً ارتفعت الطائرة مغادرة (كيب تاون) ، واستقر جالساً إلى جوارها ، وقد أغلق عينيه في صمت ، وسيطر الصمت عليهما بعض الوقت ، ثم التفت إليه (منى) ، وسأله :

— فيم تفكر يا (أدهم) ؟

ابتسم وهو يقول :

— إنني أحاول تخليص ذهني من كل الأفكار يا عزيزي .

ضحكت وهي تقول :

— لقد حاولت ذلك أنا أيضاً ، ولكنني فشلت .

شاركها ضحكها وهو يقول :

— وأنا كذلك يا عزيزي .

سألته في اهتمام :

— هل تظن أن مشكلة (جنوب إفريقيا) ، يمكن

أن تحل يوماً ما يا (أدهم) ؟

مطّ شفتيه وهو يقول :

— ولم لا ..؟ لقد رزحت (مصر) تحت نير

الاحتلال سبعين عاماً ، ثم لم تلبث أن تحررت .. إن

الاستعمار كيان هشّ يا عزيزي ، لا بدّ له من الزوال

يوماً ما مهما طال الأمد .

تهتّدت وهي تقول :

— إنني أصدق هذا القول .

ثم عادت تسأله في فضول :

— لقد كدت تقتل (بتسوى) .. أليس كذلك ؟

ابتسم وهو يجيبها ، قائلاً :

— لقد أثار غضبي يا عزيزي .

تخصّب وجهها بحمرة الخجل ، وهو يردف قائلاً :

— لقد هدّد بالإساءة إليك .

ولكنني أشعر بنشوة ، كلما حققت نصرًا جديدًا في
بلد جديد .
تأملته لحظة ، ثم ابتسمت في إعجاب ، وقالت :
— أنت تتصر دائمًا يا (أدهم) ، وسيأتي يوم
تعلق فيه كل دول العالم لافتة أنيقة تقول : « هنا انتصر
(رجل المستحيل) » .

[تمت بحمد الله]

أشاحت بوجهها حياءً ، وهي تقول :
— أكان هذا من أجلى ؟
ابتسم وهو يتأملها في حنان ، ويربت على كفها
قائلًا :
— أيراودك الشك في هذا يا عزيزتي ؟
هزت رأسها نفيًا دون أن ترفع وجهها إليه ،
فابتسم ، وعاد يسند رأسه إلى مقعده ، ويغلق عينيه ،
ويلوذ بالصمت ، واحترمت (منى) صمته ، فصمتت
بذورها ، حتى سألها في هدوء :
— هل لاحظت أنها المرة الأولى ، التي نعمل فيها في
واحدة من دول الجنوب الإفريقي ؟
أومأت برأسها إيجابًا ، وهي تقول :
— لم أشعر بفارق كبير .. فالجرمة هي الجرمة في كل
مكان وزمان .
ابتسم وهو يقول :